كتب الإبل

قامت حياة الإنسان في بعض المجتمعات الأولى ، وما زالت تقوم في المجتمعات غير مكتملة التطور ، على حيوان ما ، يتخذ منه إنسان ذلك المجتمع طعامه وشرابه ومأواه وراحلته ، ويجعله وحدته القياسية التي يعطي لكل فرد من أبناء مجتمعه قيمته وفق ما يملك منها . ويختلف ذلك الحيوان ، باختلاف البيئات وما تفرضه من حاجات . فالبيئات الرعوية والصحراوية لا يسد حاجاتها إلا الناقة ، والبيئات الزراعية يلبي طلباتها البقرة أو الجاموسة ، والبيئة الثلجية تفرض ما شابه الرنة [1] .

وكان عماد العربي الناقة ، التي تعطيه اللبن غذاءه الأول ، وتنقله من موضع إلى آخر ، وتهبه جلدها ووبرها ليتخذ منهما ما شاء ، وتحفظ له الماء في كرشها إن نفد منه الشراب واضطرته الحاجة إلى البحث عنه في جوف ناقته . فلا عجب ان سمى العربي الإبل : المال . ولا عجب ان وضعها القرآن الكريم نصب أعين العرب مراراً ، يشيد عن طريقها بنعم الله عليهم ، ويلفتهم إلى ما في خلقها من آيات تدعو إلى الاعتبار والتفكر . ولا عجب ان كانت الناقة معجزة النبي العربي : صالح ، عليه الصلاة والسلام . ولا عجب أن تشغل الناقة المكان الكبير الذي شغلته في شعر عرب الجاهلية والإسلام .

ولا غرو إذن أن يؤلف العرب في الإبل أول ما يعمدون إلى التأليف ، فيخص اللغويون الإبل بالرسائل اللغوية ، منذ وقت مبكر ، ويعالجون بعض أمور متصلة بها أيضاً ، كالرَّحْل والقَتَب اللذين ألف فيهما أبو عبيدة معمر بن

(١) نوع من الغزال يعيش في الأقطار الشمالية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المثنى [١] (ت ٢١٠ هـ) ، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري [٢] (ت ٢١٥ هـ) ، والبُرَى والخزائم التي ألف فيهما الثاني منهما [٣] .

وأول من أشار أصحاب التراجم إلى أنه تعرض للإبل في كتاب لغوي وفاةً : النضر بن شميل (ت ٢٠٤) . فقد أفرد لها الجزء الثالث من كتابه الكبير «الصفات» الذي كان في خمسة أجزاء [٤] ، كلها ما زال مفقوداً .

وما زلنا أيضاً نفتقد كتاب الإبل الذي ألفه أبو عمرو إسحاق بن مُرار الشيباني (ت ٢٠٦) [٥] ، والذي ألفه أبو عبيدة [٦] ، وكتاب أبي زيد الأنصاري [٧] . وكان الأخير أحد مراجع الجوهري في صحاحه ، فقد جاء في مادة «عمثل» : «قال أبو زيد في كتاب الإبل : العَمَيْثَلَة : الناقة الجسيمة» . وتلقاه محمد بن خير [٨] بثلاثة طرق عن أبي علي القالي ، الذي أخذه عن ابن دريد ، عن أبي حاتم السجستاني ، عن المؤلف . ولا شك أن أبا عبيد القاسم بن سلام اغترف منه كثيراً ، فهو كثير الذكر لاسم أبي زيد بين من روى عنهم .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٩ : ١٦١ .
(٢) ابن خير : فهرسة ما رواه عن شيوخه ٣٧١ .
(٣) المرجع نفسه .
(٤) ابن النديم : الفهرست ٥٢ (الطبعة المصرية) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٢١٤ .
(٥) القفطي : إنباه الرواة ١ : ٢٢٧ . حاجي خليفة : كشف الظنون ٥ : ٣٠ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ٨ . ياقوت : معجم الأدباء ١٩ : ١٦١ . السيوطي : بغية الوعاة ٣٩٥ .
(٧) ابن النديم : الفهرست ٨١ . السيوطي : البغية ٢٥٥ .
(٨) فهرسة ما رواه عن شيوخه ٣٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونسب القدماء إلى أبي سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي (ت ٢١٦) كتاباً عن الإبل[١]. ولكن الدكتور اوغست هَفْنَر Dr. August Haffner عثر على كتابين منسوبين إلى الأصمعي باسم « كتاب الإبل » ، فحققهما ونشرهما في مجموعته « الكنز اللغوي في اللسان العربي » عام ١٩٠٣ .

وأحد الكتابين عُثر على عدة نسخ منه ، وهو متصل الرواية عن المؤلف ، فقد أعلن في مطلعه أن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعي أخذه عن عمه قراءةً عليه ، ثم قرأه عليه محمد بن العباس اليزيدي ، وقرأه على اليزيديّ عمرُ بن محمد بن سيف ، وعلى ابن سيف الحسنُ بن محمد المقري الشاموخي ، وعليه المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، الذي قرأه عليه صاحبه موهوب بن أحمد الجواليقي[٢] .

ويقع هذا الكتاب في واحد وعشرين صفحة (من ١٣٧ إلى ١٥٧) . ويبتدئ بفصل لا عنوان له ، يشغل تسع صفحات (١٣٨ — ١٤٧) . ويفتتح بضِراب الإبل وضُروبه ، وحَملها والمراحل التي تمر بها في أثنائه ، ونتاجها وأجناسه ، وولدها وما يطلق عليه في أطوار عمره . ويبين من السياق أن المؤلف يحاول أن يلتزم هذا الترتيب ، ولكنه يفلت من بين يديه أحياناً ، فتضطرب بعض المواد وتتداخل ، وتنقطع بعض المراحل وتتباعد ، فيفصل بينها ما ليس منها ، وتتكرر . ثم يجمع بعض الصفات المختلفة في الإبل ، والتي

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٢ . ابن خير : فهرسة ٣٧٤ . السيوطي : البغية ٣١٤ .

(٢) ذكر ابن خير في فهرسته (ص ٣٧٥) رواية أخرى للكتاب ، فقد أخذه هو عن أبي عبد الله محمد بن سليمان النفزي ، عن خاله أبي محمد غانم بن وليد المخزومي ، عن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون السهمي ، عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد ، عن أبي علي القالي ، عن أبي بكر بن دريد ، عن أبي حاتم السجستاني ، عن الأصمعي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا تندرج تحت عنوان واحد ، لأن منها الأوصاف الجسدية والخُلقية ، وما يتصل بعمرها ، وسَيْرها ، وطريقة أكلها وشربها ، وأكثرها يدور حول نتاجها وحلبها وما تأتيه في الأمرين من أعمال .

ويشغل الفصل الثاني نحو ثلاث صفحات (١٤٧ — ١٤٩) ، وله عنوان مذكور ، يبين أنه خاص « بسَيْر الإبل » . ولا يتكلف فيه المؤلف ترتيبا ، ولكنه يحاول في بعض المواضع أن يجمع بعض الصفات المتدرجة ، وينتقل من الأدنى إلى الأعلى ، يقول[1] : « العَنَق : الفسيح والمُسْبَطِرّ . قال [أمية بن أبي عائذ الهذلي :

ومِنْ سَيْرِها العنق المسبطرْ ... رُ والعَجْرَفِيّةُ بعد الكلالِ

فإذا ارتفع عن العنق قليلاً قيل : يمشي التَّزَيُّد . وقال الشاعر [وهو الأعشى] :

وأَتْلَعُ نهّاضٌ إذا ما تَزَيَّدتْ ... به مَدَّ أثناءَ الجَديلِ المُضَفَّرِ

فإذا ارتفع عن ذلك فهو : الذَّميل ، يقال ذَمَل يَذْمِل ذَميلا . فإذا قارَبَ الخطوَ ودارَكَ النِّقال فهو : الرَّتَك ، يقال : رَتَك يَرْتِك رَتْكاً ورَتَكاناً » .

والفصل الثالث عن « ألوان الإبل » ، ويشغل قريباً من صفحتين (١٤٩ — ١٥١) . ويماثل الفصل السابق في عدم الترتيب سوى بعض المواضع الجزئية التي يتيسر له فيها ذلك . يقول[2] : « يقال : بعير أحمر ، وناقة حمراء . فإذا بولغ في نعت حمرته قيل : كأنه عِرْق أَرْطاة . ويقال : أَجْلَد الإبل وأصبرها الحمر . فإذا خلط[3] الحمرةَ قُنوءٌ فهو : كُمَيت بيِّن الكُمْتة . وناقة كُمَيت بيِّنة الكمتة . فإذا خلط[3] الحمرةَ صَفارٌ[4] قيل : أحمر مُدَمَّى .

---

(١) ص ١٤٧ .
(٢) ص ١٤٩ .
(٣) في المخصص : « خالَطَ » وهو الصحيح (لجنة المجلة) .
(٤) في المخصص : « فإن خالط الحمرةَ صفارٌ » ، والأرجح أن تكون « صُفْرة » في كليهما (لجنة المجلة) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال حُمَيد بن ثَوْر :

وصار مُدَمّاها كميتاً وشُبِّهتْ فُروجُ الكُلَى منها الوِجارَ المهدَّما»

وعنوان الفصل الرابع «أسماء الأَظْماء» ، ويشغل نحو صفحتين (١٥١—١٥٢) . وبدأه بتعريف الظَّمْء ، ثم التزم الترتيب التصاعدي التزاماً تاماً ، فكان أحسن الفصول تنظيماً وعدم استطراد . قال [١] : « الظمء : ما بين الشَّرْبتين . ويقال : زاد الناس في أظمائهم . ويقال : ما بقي من فلان إلا ظمء حمار . فأول الأظماء وأقصرها : الرعرعة ، وهي أن تدعها على الماء تشرب كلما شاءت . وإذا شربت كل يوم فاسمُ ذلك الظمء : الرِّفْهُ . ويقال : إبل بني فلان تَرِد رِفْها . قال أَوْس بن حَجَر :

يسقي صَداكَ ومُمْساهُ ومُصْبَحَه رِفْها ، ورَمْسُك محفوفٌ بأظلالِ

فإذا شربت يوماً غُدوةً ويوماً عشية فاسم ذلك الظمء : العَرَجاء .. »

والفصل الخامس ، الذي يشغل أربع صفحات (١٥٢ — ١٥٦) ، « لأَدْواء الإبل » . ولم أتبين له فيه ترتيباً ما ، وإن كان تداعي المعاني يحمله في بعض المواضع على جمع نوع متقارب من الأمر ، ولكنه لا يستقصي في هذا الجمع ، إذ لا يتحرج من وضع مرض أو أمراض من النوع نفسه في مواضع منفصلة . يقول [٢] : « يقال إذا أكلت الرِّمْث فخَلَت عليه فاشتكت بطونها : تركت الإبل قد رَمِثت رَمَثاً . وإذا أكلت العَرْفج ثم شربت عليه الماء فاجتمع العرفج عُجَرا في بطونها فاشتكت عليه بطونها ، قيل : قد حَبِجت تَحْبَج حَبَجا . وإذا أكلت فأكثرت فانتفخت بطونها ولم يخرج عنها ما في بطونها ، قيل : قد حَبِطت تَحْبَط حَبَطا ، وهو بعير حَبِط ، وناقة حَبِطة .. »

---

(١) ١٥١ .
(٢) ١٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وآخر الفصول في نصف صفحة (١٥٧) ، وخاص « بأسماء عدد الإبل » ، أي جماعاتها . والتزم فيه ترتيباً تصاعدياً لم يحد عنه . قال[1] : « الذَّوْد : ما بين الثلاثة إلى العشرة . والصِّرْمة : القطعة التي ليست بالكثيرة . والصُّبَّة : فوق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين إلى الأربعين . . »

وغلب على المؤلف في الفصول الثالث والرابع والخامس أن يقدم وصف الحالة التي يريدها من الإبل ، ثم يتبعها باللفظ الذي تطلقه اللغة على تلك الحالة . وغلب عليه في الفصل السادس تقديم اللفظ وإتباعه بتفسيره . أما الفصلان الأول والثاني فيختلط فيهما الأمران ، إذ تغلب الظاهرة الأولى على صدريهما ، والثانية على عَجُزيهما .

وقد يكون اللفظ الذي يقدمه اسماً أو فعلاً أو صفة . فإذا كان اسماً أعقبه بالتفسير ثم بالفعل الماضي فالمصدر ، في كثير من الأحيان . ويختم بالشاهد في أحيان قليلة . وإذا كان فعلاً ذكر المصدر منه ، ثم أعقبه بالتفسير ، فالشاهد إنْ وجد ، ولا ينطبق هذا القول على الفصل الأخير القصير ، لأنه التزم فيه الإيجاز ، فاكتفى بإيراد اللفظ ثم تفسيره . وأتى بشاهد شعري واحد على آخر لفظ . وإذا كان اللفظ المقدم صفة ، أعقبه بالتفسير ، والشاهد إنْ وجد ، واكتفى بذلك .

وإذا ما قدم الحالة المرادة ، أعقبها في أحيان بالاسم أو المصدر والصفة منهما ، وفي أحيان بالفعل والمصدر ، وأضاف إليهما أحياناً الصفة .

وكان يورد للحالة الواحدة لفظاً أو أكثر ، سواء أكانت هذه الألفاظ متحدة المادة أو مختلفتها . وعندما يورد الفعل يذكر الماضي والمضارع في أكثر

(١) ١٥٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأحيان ، ويحذف الأخير في أقلها ، ويقدم الماضي عند اجتماعهما . وعندما يذكر الصفة ، يأتي في بعض الفصول بالمفرد والجمع منها ، وفي بعضها بالمذكر والمؤنث ، ويُغفل ذلك في فصول وأماكن أخرى . ويذكر للفظ الذي يعالجه في أحيان قليلة معنى آخر غير المعنى المتعلق بالإبل ، ويشير في أحيان أقل إلى اختلاف اللغات فيه .

والشواهد قليلة ، ويتألف أكثرها من بيت واحد ، وفي مواضع معدودة من بيتين ، وربما أتى على اللفظ الواحد بشاهدين ، ويعزو بعض الشواهد إلى قائله ، ويهمل بعضها الآخر ، ويذكر اسم من روى له بعضها ، بل قد يورد له خبراً ما . وتضم هذه الشواهد الشعر ، والأمثال ، والأقوال السائرة . ويعلق على بعضها بتفسير بعض الغامض فيه مما لا صلة له بالإبل ، ولا يأبه لذلك في بعضها الآخر .

أما الكتاب الثاني المنسوب الى الأصمعي أيضاً ، ووجده المحقق في مكتبة فينا بالنمسا ، فأكثر من ثلاثة أمثال الأول ، إذ يشغل إحدى وسبعين صفحة (٦٦ — ١٣٦) ولكن روايته مجهولة لم يُصرَّح بها . وجميع فصول الكتاب الأول موجودة في الثاني ، مع بعض تغييرات وإضافات . جمع ما في الفصل الأول من ألفاظ متصلة باللبن والحلب ، ووضعها في فصل خاص بها ، أطلق عليه « غزارة الإبل » . وزاد في آخر الكتابين فصلين عن الوسوم التي تُعلَم بها الإبل ، وأصواتها . وغيَّر ترتيب الفصول ، فصارت على النحو التالي :

١ — الفصل العام ، ولا عنوان له ، في حوالي ٢٩ صفحة (٦٦ — ٩٤) .

٢ — غزارة الإبل ، في ٢١ صفحة (٩٤ — ١١٥) .

٣ — أسماء الإبل ، يريد في أعدادها المختلفة ، في صفحتين (١١٥ — ١١٧) .

٤ — أدواء الإبل ، في ست صفحات (١١٧ — ١٢٣) .

٥ — سَير الإبل ، في أربع صفحات (١٢٣ — ١٢٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ — الوان الإبل ، في صفحة ونصف (١٢٧ — ١٢٨) .

٧ — أظماء الإبل ، في أربع صفحات ونصف (١٢٨ — ١٣٢) .

٨ — المواسم والتزنيم ، في قريب من ثلاث صفحات (١٣٣ — ١٣٥) .

٩ — الفصل الأخير ، ولا عنوان له ، وكله عن أصوات الإبل ، وهو في نحو صفحة ونصف (١٣٥ — ١٣٦) .

ويكاد الكتابان يتماثلان في فصل الألوان ، فلا خلاف بينهما غير أن كلاً منهما ذكر مصدراً غير موجود في الآخر ، وأن الكتاب الصغير أجرى بعض التغيير والإضافة والاختصار في شرح أحد الشواهد الشعرية . جاء في الكتاب المطول [1] : « يقال : بعير أحمر ، وناقة حمراء . وإذا بولغ في نعت حمرته قيل : كأنه عرق أرطاة . ويقال : أجلد الإبل وأصبرها الحمر . فإذا خلط [2] الحمرةَ قنوء فهو : كميت . فإذا خلط [2] الحمرة صفرة [2] قيل : أحمر مدمى . قال حميد بن ثور :

وصار مدماها كميتاً وشيبت قُروح الكلا منها الوجار المهدما » .

وتتقارب فصول السَّيْر والأظماء والأعداد فيهما . ولكن الكتاب القصير يحتوي على مادة في كل منها ، ومصدرين في الفصل الأول . وتمهيداً لأحد الشواهد ؛ وكل ذلك غير موجود في الكتاب الكبير . ولكن هذا بدوره يضم في آخر الفصلين الأول والثالث مواد قليلة ، وفي آخر الثاني مواد كثيرة ، وفي تضاعيف الفصول كثيراً من الشواهد ، والمواد ، والمصادر ، والأفعال المضارعة ، والتعليقات على الشواهد ، والمعاني الإضافية ، وبعض الإطالة في التفسير . ولا أثر لكل هذه الإضافات في الكتاب القصير . ولكننا إذا أغفلنا هذه الإضافات وجدنا ترتيب الفصول واحداً في الكتابين .

---

(١) ١٢٧ .

(٢) انظر الملاحظة في ص ٣٨٦ (لجنة المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جاء في الكتاب الطويل [1] : « الذود : ما بين ثلاث إلى العشر . ومَثَّل من الأمثال : الذود إلى الذود إبل . والصرمة : قطعة خفيفة قليلة ما بين العشر إلى بضع عشرة . ويقال للرجل إذا كان خفيف المال : إنه لمُصْرِم . قال المَعْلوط :

يَصُدُّ الكرامُ المُصْرِمون سَواءَها وذو الحق عن أقرانِها سيَحيد

أي يصيرون إلى غيرها ، وذو الحق يحيد عنها ، وذلك أنها لا يصاب منها ولا يُقرَى فيها ضيف . والقَرَن : الحبل يُشَدّ به القَرينتان ، فإذا قال : يصد عن القَرَن ، عُلم أنه يصد عنها . والصُّبَّة : فوق ذلك . ويقال : على آل فلان صبة من الإبل : وهي من العشرين إلى الثلاثين إلى الأربعين . قال بعض الشعراء :

إني سيُغنيني الذي كَفَّ والدي قديماً ، فلا عُرْيٌ لديَّ ولا فَقْرُ
بصُبَّةِ شَوْلٍ أربعين كأنها مَخاصر نَبْعٍ لا شَروفٌ ولا بِكْر » .

أما فصل الأدواء فأصابه تغيير كبير ، فالترتيب في الكتابين مختلف تمام الاختلاف ، تتفق أجزاء من الفصلين في السياق ، ولكن أحدهما يكون في أول الفصل من كتاب ، على حين يكون مقابله في منتصف الفصل أو آخره من الكتاب الثاني . كذلك نجد في الكتاب الصغير مواد ، ومصادر ، وأفعالاً ، وشواهد ، غير مذكورة في الكبير ؛ كما نجد في هذا فيضاً من المواد ، والصيغ ، والشواهد ، والتعليقات عليها ، غير الموجودة في الصغير .

والظاهرة السابقة نراها في الفصل العام الذي سبق أن عرفنا أنه قسمه في الكتاب المطول إلى فصلين ، ونضيف أن الفصل الخاص باللبن وغزارته وقلته يختتم بعدة أوصاف لا تتصل باللبن ، ولكنها كانت في ذلك الموضع من

(١) ١١٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكتاب المختصر ، فبقيت على ما كانت عليه بعد التقسيم ، وأتت في فصل لا تنتمي إليه .

وكل ما رأيناه من ظواهر في الكتاب القصير نراه في وضوح في الكتاب الطويل . ولكن الشواهد تكثر وتطول وتتنوع . فيورد على اللفظ الواحد أحياناً ثلاثة شواهد [١] . وتألف الشاهد مرة من أربعة أبيات [٢] ، وأحياناً من ثلاثة [٣] ، هذا إذا لم نعد أشطر الرجز أبياتاً . وأتى بشواهد من الشعر ، والأمثال ، والأقوال السائرة ، والأخبار ؛ وأكثر من النثر .

وليس في الكتاب المطول ما يجعل الدارس يقطع برأي في مؤلفه ، أو يجعله ينكره على الأصمعي . حقاً نُسب الشاهد التالي :

تَهْوِي رؤوسَ القاحِراتِ القُحْرِ إذا هَوَتْ بين الشَّهَا والحَنْجَرِ

إلى رؤبة في الكتاب الكبير [٤] ، وهو الصحيح [٥] ، وإلى ذي الرمة في الكتاب الصغير [٦] . ولكن ذلك مرجعه الرواة أو النساخ في الغالب ، وكذلك مرجع أكثر هذا النوع من الاختلاف .

وأهم من ذلك الاختلاف في تفسير لفظ العَرْج ، إذ قيل في الكتاب القصير [٧] : « الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين » ، وقيل في الطويل [٨] : « إذا بلغت الإبل خمس مائة إلى الألف » . ولست على يقين من سبب هذا الاختلاف .

---

(١) ٦٩ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٣ ، ١٣٦ .
(٢) ٩٣ .
(٣) ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .
(٤) ٧٧ .
(٥) ديوانه ٦٠ .
(٦) ١٤٣ .
(٧) ١٥٧ .
(٨) ١١٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وجميع ما في الكتاب الكبير من زيادات موجود في الكتب اللغوية . نجد بعضها منسوباً إلى من رواه من اللغويين ، وأكثرها دون نسبة . وقد نسب ابن منظور تفسير لفظ « غَضْبَى » إلى الزجاجي . فقد جاء في كتاب الأصمعي [1] : « يقال : أتانا بغضبي ، معرفة لا تنوّن . وغضبي : مائة من الإبل . قال الشاعر :

ومُستخلِفٍ ، من بعد غضبي ، صريمةً فأحْرِ به لطولِ فقرٍ وأحْرِبا

يريد : أحْرِبْ بما أصابه : أي دخل عليه حَرَب . قال : وسمعت ابن أبي طرفة يقول : والله لا أسمح به وأحْرِبا ، أراد : أحْرِبَنْ ، بالنون المخففة » . وجاء في اللسان [2] : « غضبي : اسم للمائة من الإبل ، حكاه الزجاجي في نوادره ، وهي معرفة لا تنون ، ولا يدخلها الألف واللام . وأنشد ابن الأعرابي :

ومستخلف ، من بعد غضبي ، صريمة فأحر به لطول فقر وأحريا

وقال : أراد النون الخفيفة ووقف » . وتكاد الفقرتان تتماثلان ، وربما أخذه الزجاجي عن الأصمعي ، أو أخذه الاثنان عن لغوي واحد ، أو اتفقا فيه عرضاً .

وهناك نص آخر أكثر تماثلاً . جاء في الكتاب [3] : « فإذا بلغ الهديرَ فأولُه الكَشيش ، يقال : كَشَّ يكِشُ كَشيشاً . قال رؤبة :

هَدِرْتُ هَدْراً لبس بالكَشيش

فإذا ارتفع عن ذلك قيل : كَتَّ يكِتُّ كَتيتاً . فإذا أفصح بالهدير قيل : هَدَرَ يَهْدِرُ هَديراً . فإذا جفا صوتُه ورجَّع قيل : قَرْقَرَ يُقَرْقِرُ قَرْقَرةً . قال حميد بن ثور :

فجاء بها الرَّوّادُ يحجز بينها صُدَيّ بين قَرْقار الهدير وأعْجَما

(١) ١١٦ .
(٢) مادة غضب .
(٣) ١٣٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سُدًى : ليست بمربوطة . فإذا جعل يهدر هدراً كأنه يعصره قيل : زَغَد يَزْغَد زَغْدا . قال الراجز [وهو أبو نخيلة] :

بَخٍ وَبَخْباخِ الهَدِيرِ الزَّغْدِ

فإذا جفا صوته كأنه يَقْلَع قَلْعاً من جوفه قيل : قَلَخَ يَقْلَخ قَلْخا . قال الراجز :

قَلْخَ الفُحولِ الصِّيدِ في أَشْوالِها »

وجاء في اللسان ، مادة كشش : « أبو عبيد : إذا بلغ الذكر من الإبل الهدير فأوله الكشيش . وإذا ارتفع قليلاً قيل : كت يكت كتيتاً . فإذا أفصح بالهدير قيل : هدر هديرا . فإذا صفا صوته ورجّع قيل : فرقر » .

ولا نكاد نطمئن إلى نسبة هذه الفقرة إلى أبي عبيد القاسم ابن سلام ، حتى نجد في اللسان نفسه ، مادة زغد : « الأصمعي : إذا أفصح الفحل بالهدير قيل : هدر يهدر هدراً . قال : فاذا جعل يهدر هديراً كأنه يعصره قيل : زغد يزغد زغداً » ، وفي مادة قلخ : « الأصمعي : الفحل من الإبل إذا هدر فجعل كأنه يقلع الهدير قلعاً قيل : قلخ يقلخ قلخاً . وأنشد الأصمعي :

قلخ الفحول الصيد في أشوالها »

فلا شك إذن أن كثيراً من المواد الزائدة من رواية الأصمعي . بل ربما كان ما نجده معزواً إلى غيره من اللغويين مرويا عنه أيضاً . فالفقرة التي عزاها ابن منظور إلى أبي عبيد موجودة في الغريب المصنف (باب أصوات الإبل) ، ويبدو عليها أنها مروية عن الأصمعي . ومهما يكن الأمر فلا يُستبعد أن يكون أحد قد أضاف إلى الكتاب عن لغويين غير الأصمعي .

ونسب القدماء كتباً في الإبل إلى أبي زياد الكلابي [1] (ت ٢١٥) ، ونصر بن يوسف تلميذ الكسائي [2] . ولم يصل إلينا كتاباهما .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٢١٥ . ياقوت : معجم الأدباء ١١ : ٢١٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٩٨ . ياقوت : معجم الأدباء ١٩ : ٢٢٥ . السيوطي : البغية ٤٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعقد أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) كتاباً للإبل ، في موسوعته المسماة « الغريب المصنف » ، وهو يشغل من المصوّرة المحفوظة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ستين صفحة ، تضم ٤٥ باباً . ولا نستطيع أن ننسب الى المؤلف ترتيباً معيناً في إيراد الأبواب ، ولكن اتجاهه العام كان أن يورد حمل الإبل ونتاجها وحليها وأسنانها ، وصفاتها ، ورعيها ، ووردها ، وسيرها ، وأعدادها ، وأصواتها وأصوات دعائها أو زاجريها ، وأدواتها ، وأمراضهـا ، وعيوبها ، وسماتها ، وأبوالها ، ولحومها ، وألوانها ، وما اليها ، بالترتيب الذي ذكرتها به . ولكننا نرى موضوعات واحدة أو متقاربة أو متصلة موزعة على أكثر من باب دون سبب ظاهر ، مثل باب نعوت الابل في رعيها وربضها ، وباب رعي الابل وتركها وعلفها ؛ وباب نعوت الابل في وردها ، وباب ورد الابل ؛ وموضوعات مثلها موزعة لأسباب واهية ، مثل أبواب نعوت الإبل في ألبانها ، وفي قلة ألبانها ، وفي ضروعها ، وفي الحلب ، وفي الرضاع والحلب ؛ وأبواب نعوت الإبل في عظمها وطولها ، وفي أسنمتها ، والقوية الشداد ، وفي سِمَنها ؛ وأبواب سير الإبل في السرعة ، وفي اللين والرفق ، وضروب مختلفة من سيرها ؛ وأبواب أمراض الإبل وأدوائهـا ؛ وأمراضها من الشيء تأكله ، وأمراض صغارها ، وجريها ، وغيرها . أضف إلى ذلك أنه كان في بعض الأحيان يباعد بين هذه الأبواب المتماثلة أو المتقاربة ، ويفصل بينها بما لا صلة له بها . فالباب الأول في رعيها ترتيبه الثالث عشر ، على حين أن الثاني هو الثاني والأربعون ؛ والأول في الورد هو الرابع عشر ، والثاني هو الثاني والأربعون .

وتتفاوت هذه الأبواب في الطول ، فيشغل أطولها « باب أسنان الإبل » قريباً من خمس صفحات (١٨١ — ١٨٤) ، على حين يضم كثير من الصفحات بابين معاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كذلك تختلف الأبواب في علاجها اختلافاً كبيراً ، فبعضها مأخوذ برمته من الأصمعي ، مثل أبواب أسنان الإبل بعد الكبر ، ووردها ، وأمراض صغارها ، وألوانها . وبعضها تكاد كل مادة لغوية تؤخذ من لغوي غير المذكور قبله ، مثل أبواب نعوت الابل في ألبانها ، وقلة ألبانها ، والرضاع والحلب وغيرها . والسمة الواضحة أن أبا عبيد لا يذكر ما يورده من مواد من عنده ، بل يختاره من الرواة واللغويين ؛ وأنه كان يعزو كل مادة يوردها إلى راويها . فاذا نظرنا إلى هؤلاء الرواة واللغويين ، وجدنا منهم البصريين كالأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو بن العلاء ، والكوفيين كالكسائي والفراء ؛ وعلى هؤلاء معظم اعتماده ، وإن استقى من غيرهم كالأموي والأحمر وغيرهما .

ولما لم يكن بين أيدينا غير كتاب الأصمعي من الرواة الذين رجع إليهم ، كنا مضطرين إلى الاقتصار على المقارنة بينهما ، عالمين بأنها قاصرة لا تجلو عمله من جميع جوانبه . وتبين هذه المقارنة أنه يقرب أحياناً من عبارة وترتيب النسخة المطولة من كتاب الأصمعي ، وأحياناً من النسخة القصيرة ، وأحياناً كثيرة يخالف عبارتها وترتيبها ، بأن يترك مواد ذكراها ويلتقط مع الترتيب ، أو يجمع المتفرق ، أو يترك الترتيب تماماً ويلتقط كيفما شاء . ولم يلتزم إيراد عبارة الأصمعي ، وإنما أوردها أحياناً ، وأورد الحالة التي وصفها الأصمعي وسماها عن غيره من اللغويين كأبي زيد والكسائي ، ثم أشار الى أن الأصمعي وافقه . وزاد في بعض الأحيان عن الأصمعي مواد ، وصيغاً ، وتكملات للتفسير ، ليست في النسختين كلتيهما ، ولعل بعض الزيادات من عنده ، وبعضها الآخر ساقط من النسختين . ولكن السمة العامة أنه كان يرمي الى الايجاز ، فجعله هذا يجرى بعض التغيير في عبارة الأصمعي ليميل بها الى القصر ، ويحذف الاستطرادات ، والشواهد النثرية ، وأكثر الشواهد الشعرية ، وكثيراً من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصيغ والمترادفات . فلم يلتزم في الأفعال إيراد الماضي فالمضارع فالمصدر فالصفة كما كان الأصمعي يفعل كثيراً ، بل كان يقتصر على الماضي والمصدر أحياناً ، ويضيف اليهما الصفة قليلاً .

قال مثلاً [١] : « أبو زيد : رَمِثت الابل رَمَثاً : اذا أكلت الرمث فاشتكت بطونها . فان أكلت العَرْفج فاجتمع في بطونها عُجَر حتى تشتكي منه قيل : حَبِجت حَبَجاً . الأصمعي : الحَبَج والرَّمَث مثله ، قال : فان لم يخرج عنها ما في بطونها وانتفخت قيل : حَبِطت حَبَطاً . الكسائي : أَرِكت أَرَكاً : اذا اشتكت من أكل الأراك ، وهي ابل أَراكَة ، وأَرِكة مقصور » .

ودأب أبو عبيد في داخل أبوابه على أن يورد قولاً للغوي ثم لآخر فلثالث الى أن يفرغ الباب . فاذا اتفق أكثر من واحد ممن روى عنهم صرح بهذا الاتفاق ، ولم يكرر الأقوال ، واكتفى بأن يعقب على القول المتفق عليه بأن فلاناً مثله . فاذا كان يتفق معه ويزيد عليه ، أشار الى ذلك وقال مثلاً [٢] : « الأصمعي ... فاذا ورم حَياؤها من الضَّبعة قيل : قد أَبْلَمَت ... أبو عمرو الشيباني في الابلام مثله ، قال : ويقال : بها بَلَمة شديدة » ، أو قال [٣] : « أبو عمرو في الصَّفِي مثل الأصمعي ، قال : ويقال : صَفُوتْ وصَفَت » . واذا اختلف اللغويان أعلن هذا الاختلاف ، كما فعل حين ذكر أن الأصمعي يقول : أَشَصَّت الناقة : أي ذهب لبنها ، والكسائي يقول : شَصَّت [٤] .

---

(١) اللوحة ٢٠٤ .
(٢) اللوحة ١٨١ .
(٣) اللوحة ١٨٦ .
(٤) ١٨٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وطبيعي أن تتعدد الظواهر في الكتاب ، ولا تتخذ مسلكاً واحداً ، أو اتجاهاً عاماً ، لأن المادة منتقاة من لغويين كثيرين ، يختلف كل منهم عن أخيه في علاجه . ولكن الأمر الواضح الذي أجراه المؤلف الاختصار ، الذي ظهر أثره في قلة الشواهد ، وحذف بعض صيغ الأفعال .

وهذا مثال من باب أصوات الابل [1] : « اذا بلغ الذكر من الهدير فأوله الكشبش ، وقد كَشْ يكش . قال رؤبة :

هدرتُ هَدْراً ليس بالكشيش

فاذا ارتفع قليلاً قيل : كتْ يكت . فاذا أفصح بالهدر قيل : هَدَر يَهْدِر هديرا . فاذا صفا صوته ورجّع قيل : قرقر قرقرة . قال الشاعر :

فجاء بها الرواد يحجز بينها سدى بين قرقار الهدير وأعجما

فاذا جعل يهدر هديراً كأنه يُقَصِّره قيل : زَغَد يزغَد زغْداً . قال الراجز :

بخ وبخباخ الهدير الزغد

فاذا جعل كأنه يقلعه قلعاً قيل : قلخ يقلخ قلخاً ، وهو بعير قلأخ . قال الراجز :

قلخ الفحول الصيد في أشوالها » .

وذكر القدماء أن أبا نصر أحمد بن حاتم [2] (ت ٢٣١) ألف كتاباً عن الإبل ، ولكنا لا نعرف عنه شيئاً . كما ليس لدينا معلومات عن كتاب الابل لأبي يوسف يعقوب بن السكيت [3] (ت ٢٤٦) .

ولكن ابن السكيت جعل للابل بابين في كتابه « الألفاظ » : أولها باب الجماعة من الابل ، والثاني باب سير الابل . ورتب الباب الأول (ص ٣٥ — ٤٠)

---

(١) ١٩٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٨٣ . ياقوت : معجم الأدباء ٢ : ٢٨٤ . القفطي : إنباه الرواة ١ : ٣٦ . السيوطي : البغيه ١٣٠ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ١٠٨ . ياقوت : معجم الأدباء ٢٠ : ٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تصاعدياً على وجه التقريب . وعني فيه أكثر ما عني بالاختلافات بين اللغويين في تفسير اللفظ الواحد . فبدأه مثلاً بقوله[1] : « قال الأصمعي : الذود من الإبل : من ثلاث إلى عشر . ومَثَلٌ من الأمثال : الذود إلى الذود إبل . قال أبو عبيدة : الذود : ما بين الثِّنْتَين وبين التِّسْع من الاناث دون الذكور ، كقول الراجز :

ذَوْدٌ ثلاثٌ بَكَرةٌ ونابانْ غيرَ الفحولِ من ذكور البُعْرانْ

قال القاسم الأصمعي : الذود : ما بين الثلاث إلى العشر ، ولا يقال الذود إلا للنوق . وقال أبو زيد : يقال للذكورة والاناث » .

وسار على هذا النمط : يقدم اللفظ ويعقبه بما في تفسيره من خلاف . ولكنه عدل بعد مدة ، ففسر عدة ألفاظ ، ثم عاد اليها وأورد ما فيها من خلاف . وأنهى الباب بصفات تطلق على جماعات الابل ، ولم ينبه فيها على خلاف . قال[2] : « قال : يقال : أعطاه مائة جُرْجورا : وهن العِظام الأجرام . قال الأعشى :

يَهَبُ الجِلَّةَ الجَراجِرَ كالبُسْـــــتانِ تَحْنُو لدَرْدَقٍ أطفالِ

قال : ويقال للابل اذا لم تكن فيها أنثى وكانت ذكورة : هذه جُمالة بني فلان . ويقال : مائة مِعْكاء : أي ممتلئة سمينة . ويقال نَعَم عَكْنان : أي كثير . وقال الفراء : عَكْنان ، بالتخفيف » .

واستشهد الباب بأمثال وأشعار ، نسب بعضها وأهمل بعضها ، وأورد بيتين في الشاهد الواحد أحياناً ، وشاهدين على اللفظ الواحد أحياناً . واستطرد في في مواضع فأشار الى المعاني غير المتصلة بالابل ، والى المعاني المجازية . وأكثر

(١) ٣٥ .
(٢) ٣٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الباب مأخوذ من الأصمعي وأبي عبيدة وأقار بن لقيط ، ورجع المؤلف في بعضه الى أبي زيد الأنصاري وأبي عمرو بن العلاء وأبي عمرو بن الشيباني والفراء وغيرهم .

أما الباب الثاني (ص ٤١٤ — ٤١٩) فمأخوذ كله — عدا ألفاظاً قليلة في آخره تتعلق بالخيل والابل — من كتاب الابل للأصمعي (ص ١٢٣ ، ١٤٧) . والتزم نص الأصمعي وترتيبه على وجه التقريب ، مع ميل الى الاختصار ، جعله يحذف بعض الشواهد ، ويقتصر على واحد منها عند تعددها ، ويحذف بعض المواد والصيغ ، ويختصر بعض التفسيرات . قال مثلاً في الفقرة التي استشهدنا بها عند الأصمعي [1] : [العَنَق :] الفسيح :

[و] سَيْرها العَنَق المسبطرّ رُ والعجرفية بعد الكلال

فاذا ارتفع عن العنق شيئاً قيل : هو يمشي التزيُّد . قال الأعشى :

وأتلع نهاض اذا ما تزبدت به مدّ أثناء الجديل المضفّر

فاذ ارتفع عن ذلك فهو : الذميل . فاذا قارب الخطو وداركَ النِّقال فهو : الرَّتك . يقال : رَتَك يرتك رتكاً ورتكاناً » .

وصرح المؤلفون القدماء بأن أباعكرمة الضبي [2] (ت ٢٥٠) ألف كتاب الابل والغنم ، وأن الجاحظ [3] (ت ٢٥٥) ، وأبا حاتم سهل بن محمد السجستاني [4] (ت ٢٥٥) ، وأبا الفضل العباس بن الفرج الرياشي [5] (ت ٢٥٧) ، وابن قتيبة عبد الله بن مسلم [6] (ت ٢٦٧) ، وأبا السمح الطائي [7] الذي شاهد عهد

---

(١) ٤١٤ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ٣٩ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ١٠٦ .
(٤) ابن النديم : الفهرست ٨٧ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ٨٦ . ياقوت : معجم الأدباء ١٢ : ٤٦ . السيوطي : البغية ٢٧٦ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ١١٥ .
(٧) ابن النديم : الفهرست ٦٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخليفة المعتز (٢٥٢ — ٢٥٥) ، خمستهم ألفوا كتباً بعنوان « كتاب الابل » . وصرح ابن النديم أن كتاب ابن قتيبة كان في ستة عشر باباً ، وأن كتاب أبي السمح كان بخط صعوداء محمد بن هبيرة .

وكتاب « النَّعَم والبهائم والوحش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض » الذي حققه الأب موريس بويج Le P. Maurice Bouyges ، ونُسب إلى ابن قتيبة ، يشتمل على عدة أبواب في الابل ، تشغل منه قريباً من ٧٣ صفحة . ويتضح منذ النظرة الأولى إلى عناوين أبوابه أنها عناوين أبواب كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد نفسها ، وأنها تجري على ترتيبها أيضاً . وعند متابعة ما في داخل الأبواب نجد أنه ما جاء في أبواب الغريب المصنف . ويبدو أن مؤلف « النعم » عندما أراد تدوينه ، وضع أمامه كتاب الابل من الغريب المصنف ، وأخذ في تصفحه . وكلما وقعت عيناه على اسم راو أو لغوي ممن يزدحم بهم الغريب ضرب عليه بقلمه . فلم يورد غير أبي عبيد ثلاث مرات [١] والفراء مرة [٢] ، والأصمعي أخرى [٣] ، وأبا الجراح ثالثة [٤] . وكلما عثر على شاهد حذفه ، أو حذف شطره الذي ليس فيه موضع الشاهد ، أو اقتصر على لفظة الشاهد وحدها . وحذف أيضاً التنبيهات على موافقات اللغويين ومخالفاتهم ، وقليلاً على المواد والصيغ والمترادفات . وأجرى تغييراً طفيفاً جداً يكاد لا يُلمس في إيراد بعض العبارات ، أرغمه على أكثره حذفُه لأسماء اللغويين . وكل ما زاده : مرادف ، وصيغة تذكير ، ومعنى استطرادي للفظ ، وتعليق من

(١) ٢٦ ، ٤٨ ، ٨٠ .
(٢) ٣٢ .
(٣) ٧٠ .
(٤) ٧٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كلتين على أحد الشواهد ، ولفظ غير متصل بالإبل يبدو أنه جاء تعليقاً على شاهد كان في الغريب المصنف وحذفه هو ، وإن كان التعليق غير موجود في نسخة الغريب التي بين يدي . وأضاف في آخر الأبواب ثلاثة أسطر ، صرح أنها مأخوذة من حيوان الجاحظ [1] . وقد التقطها فعلاً من مواضع متفرقة من ذلك الكتاب [2] . كذلك أورد عبارة نسبها إلى أبي عبيد وليست في الغريب ، قال [3] : « قال أبو عبيد : عَوْدٌ وعَوْدان وعَوْدة » .

وهذا مثال من الكتاب ، قال [4] : « اذا بلغ الذكر من الإبل الهدير فأوله الكَشيش ، وقد كَشَّ . فاذا ارتفع قليلاً قيل : كَتَّ يكتّ كتيتاً . فاذا أفصح بالهدر قيل هَدَر يهدر هديراً . فاذا صفا صوته ورَجَّعَ قيل : قَرْقَر قرقرة . فاذا هدر هديراً كأنه يعصره قيل : زَغَدَ يزغد زغداً » .

(يتبع) الدكتور حسين نصار

---

(١) ٨٩ .
(٢) ٣ : ٩٥ ، ٧ : ٥٨ ، ٧٧ . (طبع الساسي)
(٣) ٢٦ .
(٤) ٥٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net